

فتح القدير

30 - { هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت } أي في ذلك المكان وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم الزمان للمكان تذوق كل نفس وتختبر جزاء ما أسلفت من العمل فمعنى { تبلو } تذوق وتختبر وقيل تعلم وقيل تتبع وهذا على قراءة من قرأ يتلو بالمثلثة الفوقية بإسناد الفعل إلى كل نفس وأما على قراءة من قرأ نبلو بالنون فالمعنى : أن اـ يتبلي كل نفس ويختبرها ويكون ما أسلفت بدلا من كل نفس والمعنى : أنه يعاملها معاملة من يختبرها ويتفقد أحوالها قوله : { وردوا إلى اـ مولاهم الحق } معطوف على { زيلنا } والضمير في ردوا عائد إلى الذين أشركوا : أي ردوا إلى جزائه وما أعد لهم من عقابه ومولاهم : ربهم والحق صفة له : أي الصادق الربوبية دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم : الحمد اـ أهل الحمد { وذل عنهم ما كانوا يفترون } أي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من أن الآلهة التي له حقيقة بالعبادة لتشفع لهم إلى اـ وتقربهم إليه والحاصل أن هؤلاء المشركين يرجعون في ذلك المقام إلى الحق ويعترفون به ويقرون به ويقرون ببطلان ما كانوا يعبدونه ويجعلونه إلها ولكن حين لا ينفعهم ذلك .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : { فاختلط به نبات الأرض } قال : اختلط فنبت بالماء كل لون { مما يأكل الناس } كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار وما تأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { وازينت } قال : أنبت وحسنت وفي قوله : { كأن لم تغن بالأمس } قال : كأن لم تعش كأن لم تنعم وأخرج ابن جرير عن أبي بن كعب وابن عباس ومروان بن الحكم أنهم كانوا يقرأون بعد قوله : { وطن أهلها أنهم قادرون عليها } وما كان اـ ليهلكها إلا بذنوب أهلها وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه كان يقرأ وما أهلكناها إلا بذنوب أهلها { كذلك نفصل الآيات } وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن أبي مجلز قال : كان مكتوب في سورة يونس إلى حيث هذه الآية : { حتى إذا أخذت الأرض زخرفها } إلى { يتفكرون } ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يشبع نفس ابن آدم إلا التراب ويتوب اـ على من تاب فمحيث وأخرج أبو نعيم والدمياطي في معجمه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : { واـ يدعو إلى دار السلام } يقول : يدعو إلى عمل الجنة واـ : السلام والجنة : داره وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله : { ويهدي من يشاء } قال : يهديهم للمخرج من الشبهات والفتن والضلالات

وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : [ما من يوم طلعت شمسُه إلا وكل وجنبتها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله ﷻ كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فما قل وكفى خير مما كثر وألهى ولا آبت شمسُه إلا وكل بجنبتها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله ﷻ كلهم غير الثقلين : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا] { والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلّى } إلى قوله : { للعسرى } وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن سعيد بن أبي هلال سمعت أبا جعفر محمد بن علي وتلا : { وإني أدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } فقال : حدثني جابر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : [إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا فقال : اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مادية ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك فإني هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فمن أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها] وقد روي معنى هذا من طرق وأخرج أحمد في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : { وإني أدعو إلى دار السلام } قال : ذكر لنا أن في التوراة مكتوبا : يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اتقه وأخرج أبو الشيخ عن الحسن أنه كان إذا قرأ { وإني أدعو إلى دار السلام } قال : لبيك ربنا وسعديك وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم عن صهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } قال : [إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوايها ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ : [إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم : إن الله وعدكم الحسنى وزيادة] فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن وأخرج ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الرؤية عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } قال : الذين أحسنوا : أهل التوحيد والحسنى : الجنة والزيادة : النظر إلى وجه الله ﷻ وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا نحوه وأخرج أبو الشيخ والدارقطني وابن

مردويه والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا نحوه وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة نحوه وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني وابن مردويه والبيهقي عن أبي بكر الصديق في الآية قال : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه ^ا وأخرج ابن مردويه من طريق الحرث عن علي بن أبي طالب في الآية مثله وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني والبيهقي عن حذيفة في الآية قال : الزيادة النظر إلى وجهه ^ا وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والدارقطني والبيهقي عن أبي موسى نحوه وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق عكرمة عن ابن عباس نحوه وأخرج ابن أبي حاتم واللالكائي عن ابن مسعود نحوه وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي عن علي قال : الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب غرفها وأبوابها من لؤلؤة واحدة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { وزيادة } قال : هو مثل قوله : { ولدينا مزيد } يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال : { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } وقد روي عن التابعين ومن بعدهم روايات في تفسير الزيادة غالبها أنها النظر إلى وجهه ^ا سبحانه وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله ^ص A فلم يبق حينئذ لقائل مقال ولا التفات إلى المجادلات الواقعة بين المتمدنية الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فإنهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم و^ا المستعان وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { ولا يرهق وجوههم } قال : لا يغشاهم { قتر } قال : سواد الوجوه وأخرج أبو الشيخ عن عطاء في الآية قال : القتر سواد الوجه وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية قال : خزي .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن صهيب عن النبي A { ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة } قال : بعد نظرهم إليه D وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله : { والذين كسبوا السيئات } قال : الذين عملوا الكبائر { جزاء سيئة بمثلها } قال : النار { كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا } القطع : السواد نسختها الآية في البقرة { بلى من كسب سيئة } الآية وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : { وترهقهم ذلة } قال : تغشاهم ذلة وشدة وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه في قوله : { ما لهم من ^ا من عاصم } يقول : من مانع وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله : { ويوم نحشهم } قال : الحشر الموت وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد في قوله : { فزيلنا بينهم } قال : فرقنا بينهم وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : تنصب الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون ^ا فيقول : هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون ^ا ؟ فيقولون : نعم هؤلاء الذين كنا نعبد فتقول لهم الآلهة : و^ا ما كنا نسمع ولا نبصر

ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون : بلى وإنا لإياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة : { فكفى بإنا شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين } وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : [يمثل لهم يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله ﷻ فيتبعونهم حتى يؤدوهم النار ثم تلا رسول الله ﷺ A { هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت }] وأخرج أبو الشيخ عن السدي { هنالك تبلو } يقول تتبع وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : { تبلو } تختبر وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن زيد { تبلو } قال : تعاين { كل نفس ما أسلفت } ما عملت { وضل عنهم ما كانوا يفترون } ما كانوا يدعون معه من الأنداد وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله : { وردوا إلى الله ﷻ مولاهم الحق } قال : نسخها قوله : { الله ﷻ مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم }